الفصل الرابع

ذات مساء خرجت من غرفتي وسمعت والدتي تتكلم عبر الهاتف كانت قد ذكرت اسمي وقفت لأسمع .

– «هي متعبة جدًا و ليست مريضة، تغيرت كثيرًا لا أعلم ما الذى حدث لها «ومشيت قبل أن تنتبه لوجودي، وبعد أن انتهت من حديثها الهاتفي، نادتني وقالت أنها تريد إرسالي لخالي لأحضر لها بعض من المال، ولكن لم يكن عندي رغبة للخروج من البيت تململت قليلًا ولكنها أصرت على ذهابي، ارتديت ملابسي ببطء شديد وخرجت متجهة إلى مكتب خالي.

دخلت المكتب متثاقلة في مشيتي يبدو عليّ الملل وخالي كعادته استقبلني والابتسامة تعلو وجهه وعلامات الفرح لقدومي ومزيد من اللهفة الظاهرة على وجهه، ولكن شحوب وجهي أثار فضوله

obeikandl.com

وحيرته، سأل بلهفة ما بك يا حلوتي؟ من عكّر صفو أحلى البنات؟ وبمرح قال هل أنت عاشقة أخبريني لا تخافي حبيبتي ولن أخبر أحدًا وستجدين عندي حل لكل مشاكلك تكلمي، ووقعت بفخ كلماته ربما لضعفي حينها وحاجتي الملحة لإخراج ما في صدري من حزن وقهر، أخبرته بكل ما حدث معي، ودموعي تنهمر وأشهق الألم بحرقة، ماكان منه إلا أن أخرج حبة دواء من درج مكتبه وأعطاني كوبا من الماء. وقال خذي حبيبتي هذه الحبة تريحك،

لست مريضة، «ضحك وقال أعلم» هذه تعيد لحياة مرحها وحيويتها، أخذت الحبة وماهي إلا دقائق حتى تغيرت طريقتي بالكلام.شعرت بحمى تسرى بجسدي، وماكان منه إلا أن اقترب مني وهو يضحك، تسلل جسدي ذاك الخدران تهدلت عيناني وقلت: هناك سؤال يحيرني ولم أتجرأ أن أسأله لأحد، لطالما أثار تفكيري ونالت مني الظنون دون جدوى أخبرني من أنت؟ ابتسم بخبث أشعل سيجارته وأخذ ينفخ بعمق كمن يستنير منها جوابا.

– ما رأيك هل تريدين سيجارة.

أخذتها دون تردد منه وشعرت رأسي ثقيلًا حينها رغم أنها لم تكن المرة الأولى التي أدخن فيها أحيانًا كنت أفعل ذلك مع محمود،

نظرني نظرة غريبة لا أنساها إلى الآن ، أخافتني تلك النظرة لدرجة الرعب.

مشى بخطوات متباطئة نحو الباب أغلقه.

واقترب مني تجول بعينيه عبر جسدي، وكأنه يخترق ملابسي ويعريني منها. نظراته تصب على نهدي بشغف كنت أسمع صوت أنفاسه المتحشرجة المتسرعة أطرقت رأسي إلى الأرض.

– قال: انظري إلي...

حينها كنت جسدًا بلا روح،

روحي كانت هائمة في مكان آخر، تراءت أمامي صورة محمود تمنيت للحظات لو أني ارتميت بين ذراعيه.

وهو مازال يتكلم لم يفتر عن الكلام لم أكن أسمع مايقول، كنت داخل صندوق من الذكريات أتجول والرعشة تلازميني.

مد يده إلى شعري يغزوه بشدة وأدار رأسي إليه فتلاقت العيون.

كنت أراه وجهًا لوجه ومن مسافة قريبة لأول مرة ، تلك العينان وبريقهما وهذا الشعر الأبيض وشارباه الصغيرين وأنفه الكبير.

يبدو أني لأول مرة أدقق بتفاصيله الصغيرة.

يده الغليظة مازالت غارقة في غابة شعري، وعيناه تتدفقان شررًا ولهيب حمم، بدأت أرتعد تحت جنون نظرته تلك، أعاد

obeikandl.com

خصلات شعري إلى الوراء، وأمسك بطرف الكنزة رفعها حتى حدود العنق، سرت قشعريرة في مسام جسدي، كانت مزيجًا من البرد وإحساس بالخوف، ومرر أنامله على ظهري وأكمل جولته إلى الأمام، لم أجرؤ على رفع يده أو إبعاده عني، طوقني وأنفاسه تقترب أكثر، ولسانه على ماكان قد ظهر من جسدي وكأنه يمسح حبات العرق التي خرجت من مسام جسدي، يداه تطوقان خصري وتطوف حول جسدي تتهادى أنامله بين خصري وتتعالى لتحط على نهدي...وشفتاه تطبقان على عنقي، أكاد أختنق حاولت الهرب بكيت حاصرني برجليه لجمني...كانت الأسئلة تهاجمني حلقت في فراغ أبحث عن جواب لم كل هذا يحدث معي؟

ارتحلت خارج المكان والزمان لعلي أهرب منه... ولكني أفقت على صوت شهقاته وأنفاسه المتسارعة تلك..وبدأت ملامسته تأخذ حركة بطيئة..حركت عندي الرغبة..لم أعد أحاول الهروب استسلمت للمساته...ورحلة أنامله لنهداي جعلتني أشعر بالخدر، تعالت أنفاسه وشهيقه.... والتصاقه بي أكثر وتمتم بكلمات لم أفهمها.. رجل تحول لطفل جائع لجسد.

وهدأ فجأة اقتربت شفتاه تطبق على شفتاي انتفضت باشمئزاز وابتعدت وأنا بحالة اشمئزاز.ولكنه انحنى وطبع قبلة على عنقي، وأنا بحاله ذهول بين نشوة الملامسة والخوف.

ومع ذلك استسلمت له تلك اللحظة، وسكنت حركاته وتلاشى حصاره.

تراجعت للوراء ورحت أرتب ملابسي بعصبية وهو يرمقني بنظراته، وينتابني شعور بالخوف الممزوج بالغضب..والرعب والاستسلام !

-وقال:إياك أن تخبري أحدا بما حدث، كانت نظرته مخيفة، وعاد يقول:

-ما بك حبيبتي لا تخافي، أنا أحبك، وكنت أراقب هذا الجسد حتى كبر وصار بهذا الجمال أنت لي هل تفهمين...

هذا الجسد الجميل وتلال الثلج التي تقبع فيه لي وحدي.ماكان مني إلا أن ألوذ بالصمت للحظات ثم عدت لأكرر سؤالي أخبرني من أنت؟؟

جلس خلف مكتبه وأشعل سيجارته وتنهد...

- نعم لست خالك. والدتك ليس لها أخوة، وأنا بمثابة أخ لها

- كيف؟؟ ووالدي كيف يوافق على مثل هذا أخبرني أرجوك، أنا متعبة جدا.

«أجابني ببرود هي قصة طويلة سأرويها لك ذات يوم، سيكون لنا لقاءات كثيرة هنا بعد الآن لن أستطيع الابتعاد عنك «

وخرج من وراء مكتبه و أعطاني بعض المال

وقال:هذه لك لا أريد أن تحتاجي إلى أحد، يجب أن تذهبي تأخرتي خذي هذه الحبة معك لو شعرتي بضيق خذيها لتجدي روحك تحلق مرحة ، أخذتها دون تردد وعدت للمنزل، بخطى ثقيلة وفراغ داخل رأسي كصفير الرياح المغبرة غير مبالية هو تناقض غريب لكني اعتدت عليه بعد اللقاءات المتكررة بذات الطابع

كان ينمو داخلي ذلك الشعور الغريب ممزوجًا بتناقض غريب، بين الخوف والرغبة والألم استسلم للحظات وأعود للبعد، وكأني لست أنا من حدث لها كل ما حدث بل هي فتاة أخرى...أشاهدها أراقبها من بعد حزينة لأجلها.

تعودت على تناول تلك الحبوب التي أعطاني إياها، لم أعد أستطيع البقاء دونها حين يفرغ ما يعطيني إياه من حبوب أكون قد أحضرت عبوة جديدة، موضوع النقود متوفر وبكثرة...حين أتناول تلك الحبة أتعامل ببرود ولا أشعر بعظمة ذلك الحدث..

كانت صورة محمود لا تفارقني، يتملك مني صراع انصياعي لأوامر العجوز، وكيف أترك ورائي محمود بما كنت أكن له من مشاعر الحب..!

تغير ما في قلبي اتجاهه، أدركت أني كنت أمام رجل حقيقِي، جارف بعواطفه، يقتحمني بأمواجه المتلاطمة، بعينيه الهائجتين،

بكل شهوة الدنيا من نهم وعشق، لم أعد تلك المراهقة الصغيرة التي اقتحمت بواكير أنوثتها من ذاك القريب.

انهارت عندي كل القيم...إزاء تلك الهجمات المتكررة على جسدي.

حتى والدتي تلاشى احترامي لها، كنت أشعر أن لها يدًا خفية بكل ما يحدث لي، حاولت مرارًا أن أفتح حديثًا مع أختي لمى، محاولةً مني أن أعرف عنها ومنها هل تمر بما أمر به.

لكنها كانت متحفظة كثيرًا، وهذا ما جعل المسافة بيننا تتسع وتبتعد أكثر، لكل واحدة حياتها وأسرارها ربما خوف أو ربما هو الخجل، ماكان يمنع أي واحدة منا أن تفتح قلبها للأخرى

«حسان يقرأ يشرب قهوته والدموع تختنق داخل عينيه، حالة الذهول تأخذ من ملامحه والتعب من السهر ومن تلك القصة المرعبة بالنسبة له.

لم يتخيل أن كل هذا قد يمر بتلك الفتاة المرحة التي أحبها بصمت.

ويسأل نفسه ترى لو علمت بما كان يحدث منها حينها، هل كنت بنفس تلك المشاعر التي احتفظ بها أي كابوس أعيش معك حياة.

«ويتابع حسان القراءة»

في إحدى المرات بعد عودتي من المكتب شعرت بألم شديد في أسفل بطني واستلقيت على الفراش متعبة، لا أعلم ماذا حدث لي وبعد لحظات شعرت برطوبة في ملابسي الداخلية ذهبت للحمام وأصابني ذعر حين وجدت فيها قليلا من الدم، غيرتها بسرعة ومزقت كل ما يظهر منها، ورميته بسلة المهملات وبقيت على تلك الحالة كئيبة، بحالة رعب وبينما أفعل ذلك شاهدتني «لمى»، سألتني

– ماذا بك..؟ أخبرتها... ضحكت وقالت ولما تمزقينها وترمينها هذا أمر عادي أتذكرين ما سمعته من أم صفيه لوالدتك.

–نعم أذكر تماما ما دار بينهما

– قالت: هذا هو الأمر الذي حدث.. وشرحت لي أن كل فتاة في عمر معين يحدث لها وهذه هي طبيعة الأنثى علامة على أنها كبرت، وهنا يتسنى لها الزواج وإنجاب الأطفال.

لا تخافي حدث معي ذات الشيء، وأخبرتني كيف أتصرف، والغريب أن والدتي لا تنتبه لتلك الأمور، أو أنها لا تعرف كيف تتصرف حيالها.